المظالم التي حرمتها الآية

..... وكان بعض العلماء يقول: هذا التكرار، وعطف ما دخل فيما قبله عليه لحكمة، وهذه الحكمة بيانها وتفصيلها أن مظالم الناس وتعدِّي بعضهم على بعض في دار الدنيا راجع إلى ستة أقسام، وهي: أن يتعدى عليه في دينه، أو أن يتعدى على نسبه، أو أن يتعدى على عرضه، أو أن يتعدى على نفسه، أو أن يتعدى على ماله. فهي ستة جواهر: الدين، والنفس، والنسب، والعقل، والمال، والعرض. فهذه الجواهر الستة هي التي تدور حولها المظالم، قال من قال هذا: الآية جاءت ناهية عن التعدي في جميع هذه الجواهر الست؛ لأن قوله: { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ } . هذا تعد على الأنساب؛ لأن الزنا سواء كان ظاهرا أو باطنا تعد على أنساب الناس، وتقذير لفروش الناس؛ لأنه إذا كثر الزنا لم يدر هذا من أبوه، ولم تدر أم هذا من أبوه؛ فضاعت الصبيان، ولم يعرف لهذا أب، فاختلطت الأنساب، وتقذرت الفرش، وضاعت أخلاق المجتمع، وأن النهي عن الفاحشة هو ذب عن الأنساب، وهذا معنى قوله: { مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ } . وأن قوله: { وَالْبَغْيَ } المراد به العدوان والظلم سواء عدوت على نفسه فقتلته، أو عدوت على ماله فأخذته، أو عدوت على عرضه فتناولت منه وقذفته. قالوا: والمراد بالإثم هنا الخمر؛ لأنها هي التي تعدو على العقول، وقال الحسن { وَالْإِثْمَ } الخمر. وكثير من علماء العربية يسمون الخمر إثما، ولهم في ذلك شواهد كثيرة وأشعار معروفة، منها قول الشاعر: شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم تذهب بالعقول يعني الخمر. وقال بعض العلماء: هذا البيت مصنوع، وبعضهم يقول: هو بيت عربي شاهد. ومنه قول الآخر: والعياذ بالله يقول: نشرب الإثم بالصواع جهارا وترى المسك بيننا مستعارا وهذا كثير في كلام العرب تسمية الخمر إثما. منه قول الآخر: نهانا رسول الله أن نقرب الخنا وأن نشرب الإثم الذي يوجب الوزرا وقول الآخر: فرحت حزينا ذاهب العقل بعدكم كأني شربت الإثم أو مسني خبل قالوا: فقوله: { وَالْإِثْمَ } هو تحريم للخمر؛ لأنها هي التي تذهب العقول، هو زجر عن إذهاب العقول ومحافظة على العقول. بقي الدين وحده؛ ولأن الأنساب جاءت في النهي عن الزنا، والأنفس والأعراض والأموال جاءت في النهي عن البغي؛ لأنه الظلم على الإنسان في ماله أو نفسه أو عرضه، والمحافظة على العقول جاءت في تحريم { وَالْإِثْمَ } وهو الخمر. على هذا القول بقي الدين، والمراد بقوله: { وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا } ؛ لأن أعظم إفساد الدين الإشراك بالله، والقول في دين الله بلا علم؛ فهذا أعظم فساد الدين. قالوا: فعلى هذا تكون الآية الكريمة إنما تداخلت عطوفها وتكررت؛ ليكون قيها الزجر عن الأنفس، والزجر عن الأموال، والزجر عن الأعراض، والزجر عن الأنساب، والزجر عن العقول، والزجر عن الأديان.